

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على خير خلق الله المبعوث رحمة وهداية للناس كافة، وعلى آله وصحابه الكرام والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

### وبعد

عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان رضي الله عنهما يُصدّق كل واحد منهما حديث صاحبه - قالوا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبي ﷺ: «إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين». فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقريش، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حلّ حلّ. فألحت. فقالوا: خلأت القصواء، خلأت القصواء. فقال النبي ﷺ: «ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل». ثم قال: «والذي نفسي بيده، لا يسألوني خُطّة يعظمون فيها حرّات الله إلا أعطيتهم إياها». ثم زجرها فوثبت. قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه، وشكى إلى رسول الله ﷺ العطش، فانترع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة - وكانوا عيّبةً نصّح رسول الله ﷺ من أهل تهامة - فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية، معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت، فقال رسول الله ﷺ: «إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكننا جننا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب واضرت بهم، فإن شاءوا ماددناهم مدّةً ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهروا وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا. وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره». فقال بديل: سابلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى

## باب السنة

# قصة صلح الحديبية والدروس المستنبطة منها.

إعداد / زكريا حسيني محمد



قريشاً، قال: إنا قد جئناكم من هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا. فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء. قال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول. قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي ﷺ. فقام عروة بن مسعود فقال: يا قوم، الستم بالوالد؟ قالوا: بلى. قال: الست بالولد؟ قالوا: بلى. قال: فهل تنهمونني؟ قالوا: لا، قال: الستم تعلمون اني استنفرت اهل عكاظ، فلما بلحوا علي جئتم باهلي وولدي ومن اطاعني؟ قالوا: بلى. قال: فإن هذا عرض عليكم خطة رشد اقبلوها، ودعوني اتيه، قالوا: ائته. فاتاه، فجعل يكلم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل. فقال عروة عند ذلك: أي محمد، أرايت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح اهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فإنني والله لأرى وجوهاً، وإنني لأرى أشواباً من الناس خليفاً أن يفروا ويدعوك. فقال له أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - : أمصص بظر اللات، أنحن نفر عنه ونذعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر. فقال: أما والذي نفسي بيده، لولا يد كانت لك عندي لم أجرك بها لأجبتك، قال: وجعل يكلم النبي ﷺ، فكلما كلمه كلمة أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف، وقال: آخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروة رأسه، فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة. فقال: أي غدر، الست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة صاحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء». ثم إن عروة جعل يرمى أصحاب النبي ﷺ بعينه. قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضعوا كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد، والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك

بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضعوا كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، فقال رجل من بني كنانة: دعوني اتيه. فقالوا: ائته. فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: «هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له». فبعثت له، واستقبله الناس يلبون. فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت، فقام رجل منهم يقال له: مكرز بن حفص، فقال: دعوني اتيه، فقالوا: ائته، فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ: «هذا مكرز، وهو رجل فاجر، فجعل يكلم النبي ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو. قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل، قال النبي ﷺ: «قد سنه لكم من أمركم». قال معمر: قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم». فقال سهيل: أما «الرحمن» فلا أدري ما هي، ولكن اكتب «باسمك اللهم» كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا يكتبها إلا «بسم الله الرحمن الرحيم». فقال النبي ﷺ: «اكتب باسمك اللهم». ثم قال: «هذا ما قضى عليه محمد رسول الله»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ: «والله إنني لرسول الله وإن كذبتُموني، اكتب محمد بن عبد الله». قال الزهري: وذلك لقوله: «لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها». فقال له النبي ﷺ: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به». فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل: وعلى أنه لا ياتيك منا رجل - وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين، وقد جاء مسلماً؟ فبينما هم كذلك، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك، عليك أن تردده إلي. فقال النبي ﷺ:

«إنا لم نقض الكتاب بعد». قال: فوالله إذا لا أصالحك على شيء أبداً. قال النبي ﷺ: «فأجزه لي». قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: «بلى فأفعل». قال: ما أنا بفاعل. قال مكرز: بل قد أجزناه لك. قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان عذب عذاباً شديداً في الله، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فاتيت نبي الله ﷺ، فقلت: ألسنت نبي الله حقاً؟ قال: «بلى». قلت: السنن على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى». قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا إذا؟ قال: «إني رسول الله، ولست أعصيه وهو ناصري». قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سناتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتكم أنا ناتيهِ العام؟» قال: قلت: لا. قال: «فإنك أتية ومطوف به». قال: فاتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، اليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: السنن على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله ﷺ، وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بعرز، فوالله إنه على الحق، قلت: اليس كان يحدثنا أنا سناتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك أتية ومطوف به.

قال الزهري: قال عمر رضي الله عنه: فعملت لذلك أعمالاً، قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا». قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما يقم منهم أحد، ثم دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بطنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بطنه ودعا حالقه فحلقه، فلما راوا ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً، ثم جاءه نسوة مؤمنات، فانزل الله تعالى: ﷻ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٌ فَامْتَحِنُوهُنَّ ﷻ حتى بلغ: ﷻ بَعْضَ الْكَوَافِرِ ﷻ [الممتحنة]. فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، ف تزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية، ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير - رجل من قريش، وهو مسلم - فأرسلوا في طلبه

رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجل، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إنني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً، فاستله الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد، لقد جربت به، ثم جربت به، ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فامكنه منه، فضربه حتى برد، وفر الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين راه: «لقد رأى هذا ذعراً»، فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي، وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ، فجاء أبو بصير، فقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك، قد ردتني إليه ثم أنجاني الله منهم، قال النبي ﷺ: «ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد». فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، قال: وبنفقت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بابي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بابي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بغير خريش خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فانزل الله تعالى: ﷻ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﷻ حتى بلغ: ﷻ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﷻ [الفتح: ٢٤-٢٦]، وكانت حميتهم أنهم لم يقرأوا أنه نبي الله، ولم يقرأوا بيسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينه وبين البيت.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الشروط باب (الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب وكتابة الشروط) برقم (٢٧٣١-٢٧٣٢)، وله أطراف ذكر فيها بعض الحديث مختصراً مقتصراً على بعضه، وذلك بالأرقام (١٦٩٥، ١٨١١-٢٧١١، ٢٧١٢، ٢٧٣١، ٢٧٣٢، ٤١٥٧، ٤١٥٨، ٤١٧٨، ٤١٧٩، ٤١٨٠، ٤١٨١)، وأخرجه أبو داود في سننه برقم (١٧٥٣) مقتصراً على تقليد الهدي وإشعاره، كما أخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى في السير (١٦٢) مختصراً، و(١: ٢) كما في التحفة، وقد ساق القصة ابن إسحاق في السيرة بطولها بالفاظ مقاربة لالفاظ البخاري، كما نقلها عنه ابن هشام في السيرة.

## شرح الحديث

قال الحافظ في الفتح: قوله: «عن المسور بن مخرمة ومروان» أي: ابن الحكم، «قالا خرج»: هذه الرواية بالنسبة إلى مروان مرسله لأنه لا صحبة له، وأما المسور فهي بالنسبة إليه أيضاً مرسله لأنه لم يحضر القصة، وقد تقدم في أول الشروط من طريق أخرى عن الزهري عن عروة أنه سمع المسور ومروان يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ فذكر بعض الحديث، وقد سمع المسور ومروان من جماعة من الصحابة شهدوا هذه القصة؛ كعمر وعثمان وعلي والمغيرة وأم سلمة، وسهل بن حنيف وغيرهم، ووقع في نفس هذا الحديث شيء يدل على أنه عن عمر رضي الله عنه - كما سيأتي التنبيه عليه - وقد روى أبو الأسود عن عروة هذه القصة، فلم يذكر المسور ولا مروان لكن أرسلها، وهي كذلك في «مغازي عروة بن الزبير» أخرجها ابن عائد في المغازي له بطولها، وأخرجها الحاكم في «الإكليل» من طريق أبي الأسود عن عروة أيضاً مقطعة.

قوله: «زمن الحديبية» في معجم البلدان: الحديبية بضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء خفيفة أو مشددة قرية متوسطة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، بعضها في الحل وأكثرها في الحرم، وقيل: سميت بشجرة حذباء صغرت.

قال الحافظ في الفتح: ووقع في رواية ابن إسحاق في المغازي عن الزهري: «خرج عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً». ووقع عند ابن سعد: «أنه ﷺ خرج يوم الاثنين لئلا نزل في القعدة».

قوله: «حتى إذا كانوا ببعض الطريق». قال ابن حجر: اختصر المصنف صدر هذا الحديث الطويل مع أنه لم يسقه بطوله إلا في هذا الموضع، وبقيته عنده في المغازي من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري قال: وبنانيه معمر عن الزهري: وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه فقال: إن قريشاً جمعوا جمعوا، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك، فقال ﷺ: أشيروا أيها الناس علي، أترون أن أميل إلى عيالهم وذريتي هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، فإن ياتونا كان الله

عز وجل قد قطع عيناً من المشركين، وإلا تركناهم محرومين، قال أبو بكر: يا رسول الله، خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه. قال: امضوا على اسم الله.

إلى ها هنا ساق البخاري في المغازي من هذا الوجه، وزاد أحمد عن عبد الرزاق، وساقه ابن حبان من طريقه قال: قال معمر: قال الزهري: وكان أبو هريرة يقول: ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ. اهـ.

ثم ذكر ابن حجر الروايات التي تؤكد مشاورة رسول الله ﷺ لأصحابه، ورد أبي بكر عليه إشارته بالاستمرار إلى ما جاء من أجله وهو العمرة حتى يكون بدء القتال من المشركين، وأخذ النبي ﷺ برأي أبي بكر رضي الله عنه. قال: والأحابيش جمع أحبوش، وهم بنو الهون بن خزيمة بن مدركة، وبنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وبنو المصطلق من خزاعة كانوا تحالفوا مع قريش قبل تحت جبل يقال له: الحبشى أسفل مكة، وقيل: سموا بذلك لتحبشهم، أي تجمعهم، والتحبش: التجمع، والحباشة: الجماعة.

قوله: «قال النبي ﷺ: إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة». خالد لم يكن أسلم حينئذ، وإنما كان على شركه فلم يسلم إلا بعد الحديبية، وأما الغميم فبفتح المعجمة: وحكى فيها القاضي عياض الضم على التصغير.

قال المحب الطبري: يظهر أن المراد كراع الغميم وهو موضع بين مكة والمدينة. اهـ.

قال ابن حجر: وسياق الحديث ظاهر في أنه كان قريباً من الحديبية، فهو غير كراع الغميم الذي وقع ذكره في الصيام وهو الذي بين مكة والمدينة، وأما الغميم هذا فقال ابن حبيب: هو قريب من مكان بين رابع والجحفة، وبين ابن سعد أن خالداً كان في مائتي فارس فيهم عكرمة بن أبي جهل، والطلية: مقدمة الجيش.

قوله: «فخذوا ذات اليمين». أي الطريق التي فيها خالد.

فنكتفي بهذا القدر، ونكمل إن شاء الله تعالى في العدد القادم شرح الحديث ونبين الفوائد المستنبطة من هذه القصة المباركة، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا به.